وتحسينه فبهجته وهذا كما قال في موضع آخر ولقاهم نضرة وسرورا ونظيره
قوله يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا فهذا جمال الظاهر
وزينته ثم قال ولباس التقوى ذلك خير فهذا جمال الباطن ونظيره قوله
إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فهذا جمال ظاهرها ثم قال وحفظا
من كل شيطان مارد فهذا جمال باطنها ونظيره قوله عن امرأة العزيز
لعذالها قالت ليوسف اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن
حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني
فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فذكرها لهذا هو من تمام وصفها لجما
له وأنه في غاية المحاسن ظاهرا وباطنا وينظر إلى هذا المعنى ويناسبه
قوله إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فقابل بين
الجوع والعري لأن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر الحسي وإن زاد الباطن
المعنوي فهذا زاد سفر الدنيا وهذا زاد سفر الآخرة ومثله قول هود يا قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم
فالأول القوة الظاهرة المنفصلة عنهم والثانية الباطنة المتصلة بهم و
يشبهه قوله فما له من قوة ولا ناصر فنفى عنهم الدافعين الدافع من أنفسهم
والدافع من خارج وهو الناصر **فصل** ومن أسرارها
أنها تضمنت إثبات قدرة الرب على ما علم أنه لا يكون ولا يفعله وهذا
على أحد القولين في قوله بلى قادرين على أن نسوي بنانه فأخبر أنه قادر
عليه ولم يفعله ولم يرده وأصرح من هذا قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء
بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون وهذا
أيضا على أحد القولين أي تغور العيون في الأرض فلا يقدر على الماء قال
ابن عباس يريد أن يغيض فيذهب فلا يكون من هذا الباب

بل يكون

وقابل بين الظمأ وهو حر الباطن والضحى وهو حر الظاهر بالبروز للشمس وقريب من هذا قوله تعالى وتزودوا فإن خير الزاد التقوى فذكر الزاد الظاهر صح

بل يكون من باب القدرة على ما سيفعله وأصرح من هذين الموضعين قوله
تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم
وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزول هذه الآية أعوذ بو
جهك ولكن قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه لا بد أن يقع في أمته خسف
ولكن لا يكون عاما وهذا عذاب من تحت الأرجل وروي أنه كائن في
الأمة قذف أيضا وهذا عذاب من فوق فيكون هذا من باب الإخبار
بقدرته على ما سيفعله وإن أريد به القدرة على عذاب الاستئصال
فهو من القدرة على ما لا يريد وقد صرح سبحانه بأنه لو شاء لفعل ما لم يفعله
في غير موضع من كتابه كقوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض
كلهم جميعا وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ونظائره
وهذا مما لا خفاء فيه بين أهل السنة وبه تبين فساد قول من قال
إن القدرة لا تكون إلا مع الفعل لا قبله وإن الصواب التفصيل بين
القدرة الموجبة والمصححة فنفي القدرة عن الفاعل قبل الملابسة مطلقا
خطأ والله أعلم **فصل** ومن أسرارها أنها تضمنت التأني
والتثبت في تلقي العلم وأن لا يحمل السامع شدة محبته وحرصه وطلبه على مبا
درة المعلم بالأخذ قبل فراغه من كلامه بل من آداب الرب التي أدب بها
نبيه صلى الله عليه وسلم أمره بترك الاستعجال على تلقي الوحي بل يصبر إلى أن
يفرغ جبريل من قراءته ثم يقرأه بعد فراغه عليه فهكذا ينبغي لطالب
العلم ولسامعه أن يصبر على معلمه حتى يقضي كلامه ثم يعيده عليه أو يسأل عما
أشكل عليه منه ولا يبادر قبل فراغه وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في ثلاثة
مواضع من كتابه هذا أحدها والثاني قوله وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا
وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك

Copyright © King Saud University